الرَّدُّ عَلَى الزَّعْمِ بِهِيرُوغْلِيفِيَّةِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

محمود القاعود
باحث اسلامي
محافظة البحيرة - جمهورية مصر العربية

لعلَّ من نافلة القول، أن حملات التشكيك ضد القرآن الكريم لم تخبُ منذ نزول القرآن علي رسول الله ﷺ، وفي هذا الإطار يأتي أحد الكتب، صدر عن مكتبة مدبولي في القاهرة بعنوان «الهيروغليفية تُفسر القرآن الكريم»!.

وسنعرض هنا لمنهج الكاتب «سعد العدل» وتبيين عواره وتهافته، حتى لا تنخدع الأجيال الجديدة بما كتبه وزعمه أن القرآن الكريم به كلمات غير عربية، كما زعم المستشرقون.

إن الكاتب يسلك مسلك زكريا بطرس، فهو يبني قضايا خطيرة.. لا على أساس من قرآن أو من سُنة أو حديث أو تاريخ موثوق به، وإنما على استنتاجات واحتمالات ما أنزل الله بها من سلطان.

ونحن إزاء كاتب لا يعرف يقينا عدد حروف اللغة العربية، إذ يقول: فالمعروف ان حروف المعجم عددها يبلغ ٢٨ حرفا بل وربما ٢٩، ولذلك يستنتج أن حروف المقطعات ليست هي الحروف العربية لأن: الحروف التي ذكرت في أوائل السور لا يزيد عددها على ١٤، وكأن حروف المقطعات ينبغي أن تكون ٢٨ أو ٢٩

لتكون من الحروف العربية. ولا يكتفي الكاتب بمنطق الأطفال هذا، مع الاعتذار للأطفال، وإنما يصر على فضح جهله بطريقة نطق الحروف العربية، فيزعم أن نطق الحرف ر هو راء وليس را، ويزعم أن الحرف ط يُنطق طاء وليس طا، وأن الحرف هـ يُنطق هاء وليس ها، ويبدو أنه يسترجع أيام الكَتّاب الذي ربما يكون قد تعلم فيه، حيث كان أبو العرّيف يقول لصبيانه ألفٌ فيرددون وراءه ألفٌ، فيقول باءٌ فيرددون باءٌ، وهكذا. ولكن الكارثة أنه يخرج من خطئه هذا في نطق الحروف بنتيجة يبني عليها نظريته فيقول:

فلو كانت هي من حروف الهجاء لنونت مثلا ولقلنا: بدلا من ألف لام ميم ألفٌ لامٌ ميمٌ بالتنوين، وهذا ليس الحال هنا. وعلى هذا فهي ليست حروف الهجاء ولا هي أسماؤها.

وهكذا بجرة قلم، أو قل بشطحة قلم، يخرج بهذه النتيجة التي لم يكتشفها إنس من قبله ولا جان، فيقول إن حروف المقطعات ليست هي حروف الهجاء.

ويأخذنا الكاتب إلى «منهج البحث» الذي اتّبعه، فتكون «أول القصيدة كفر» كما يقولون. إذ يذكر الكاتب حديثا شريفا لرسول الله ﷺ رواه الترمذي فيقول:

روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف –صدق رسول الله ﷺ. والمتأمل في معنى ودلالة الحديث الشريف لا بد وأن يكون لفت نظره تلك الجزئية: لا أقول الم حرف: فمن البديهيات أنها ليست حرفا واحدا وإنما ثلاثة أحرف (إذا اعتبرنا أنها حروف الهجاء) فماذا يقصد الرسول الكريم من قوله إذن: لا أقول الم حرف، إلا إذا كان يقصد بكلمة حرف معنى آخر غير مسمى حرف الهجاء، فهل تعني كلمة –حرف –معنى غير ذلك؟؟. لننظر في المعجم:

وهكذا.. يستنتج الكاتب أن الرسول الكريم كان يقصد بكلمة حرف معنى آخر غير حروف الهجاء، ويذهب إلى المعجم ليستخرج المعنى الذي يريده ويلصقه برسول الله. وبطبيعة الحال فإنه سيجد في المعجم معاني عديدة لكلمة "حرف"، فيختار ما يراه هو كي

يتفق مع نظرياته، والمعنى الذي اختاره حضرته هو "الكلمة"، أي أن كلمة "حرف" في حديث سيدنا رسول الله تعني "كلمة".

هكذا بمنتهى البساطة.. ينتقي الكاتب ما شاء من المعاني دون أدنى اعتبار للسياق الذي جاء به الحديث، وليذهب السياق إلى الجحيم ما دام الكاتب قد اختار ما يريده وما يتصور أنه يؤيد نظريته.

إن الحديث الشريف يقول بمنتهى الوضوح، الذي ربما يصعب على كاتبنا الفهيم أن يفهمه، إن من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشرة أمثالها، أي أنه هنا يتكلم عن كل حرف من حروف كلمات الكتاب العزيز، ومع ذلك فإن الكاتب يتجاهل هذا السياق الذي يؤكده الحديث الشريف، ويذهب إلى معجم لسان العرب ليأتي بمعنى آخر، فيقول إن المقصود بالحرف هو الكلمة، وكأن سيدنا رسول الله كان يقصد أن يقول إن من قرأ كلمة من كتاب الله فله حسنة، ولم يكن مقصوده الحرف بمعنى الحرف من الحروف التي تتكون منها الكلمة. ولا شك في أن هذا اكتشاف عظيم من الكاتب لم يسبقه إليه أحد من العالمين.

ونستمر مع الكاتب في "منهج البحث" الذي اتبعه، فيقول إن هذه الحروف التي تكوّن المقطعات هي كلمات وجُمل، فيقول:

وعلى هذا تكون الرموز التي تبدأ بها السور هي كلمات وجمل: ولما وجدنا أن هذه الكلمات لا تؤدي إلى معنى من المعاني في اللغة العربية كان لزاما علينا ان نبحث في لغة أخرى من اللغات القديمة أو المعاصرة للغة القرآن.

والملاحظ أن الكاتب يقول "وعلى هذا..." أي أنه يستنتج نتيجة يبني عليها نظريته من افتراضه الخاطئ السابق وهو أن الحرف لا يعني حرفا وإنما يعني كلمة وجملة. ولعله لم يسمع بعد بالقاعدة التي يقرها جميع من آتاهم الله شيئا من العقل والحكمة، وهي: إن ما بُني على باطل فهو باطل.

وهو ينتقل من افتراض خاطئ إلى افتراض خاطئ آخر، ولا بأس عنده في ذلك،

فيقول:

لقد اختص الله عزّ وجل منطقتنا وهي قلب العالم بكل الرسالات السماوية، فهل كل لغات المنطقة معنية بالأمر؟. وهل كل لغات المنطقة مقدسة؟.

وهكذا نرى الكاتب يتبع الأفكار الإسرائيلية التي انتشرت بكل أسف بين عامة المسلمين وجهلائهم. فهل اختص الله عزّ وجل منطقتنا بكل الرسالات السماوية؟. وماذا عن المناطق الأخرى؟. هل أهملها الله تعالى ولم يبعث فيها رسلا ولم يُنزل إليهم شرائع وكتبا سماوية؟. إذا سألنا أي شخص يهودي أو مسيحي هذا السؤال فسوف يجيب بالإيجاب، ولكن إذا بحثنا في القرآن المجيد فسنجد أن الله تعالى لم يقل إنه رب بني إسرائيل ولا رب بني إسماعيل، وليس هو رب العرب أو رب المصريين، ولا هو رب اليهود وحدهم بل ولا هو رب المسلمين فقط، وإنما هو رب العالمين. ولذلك فإنه يؤكد في كتابه العزيز قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[سورة فاطر: ٢٤].

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[سورة يونس: ٤٧].

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۗ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ﴾ [سورة الرعد: ٧].

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سورة سبأ: ٣٤].

﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾ [سورة الملك: ٨ -٩].

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾[سورة الحج: ٦٧].

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الحج: ٣٤].

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[سورة المائدة: ٤٨].

وهذه سقطة من سقطات كاتبنا الذي يأخذ بما ينص عليه العرف المصري من الاعتراف بأديان ثلاثة هي اليهودية والمسيحية والإسلام، ويقتفي أثر الإسرائيليات وأفكارها دون أي اعتبار لما يقوله كتاب الله الذي يدّعون أنهم يؤمنون به.

ويسأل الكاتب: وهل كل لغات المنطقة مقدسة؟. ثم يجيب عن سؤاله فيقول:

بالطبع لا، فاللغة المقدسة هي تلك التي تنزلت بها رسالة على رسول، أو نبوة على نبي، واكتسبت قدسيتها من باب أن الله تعالى خاطب بها الأنبياء والرسل وسائر البشر الذين ما تنزلت الرسالات إلا من أجلهم ومن أجل هدايتهم ودعوتهم إلى الله ووحدانيته.

من أين استقى الكاتب هذا القرار؟. هل توجد آية قرآنية تؤيده؟. هل يوجد حديث شريف يقول به؟. أم أن خيال الكاتب قد جمح به جموحا واسعا فاخترع هذه القاعدة التي لا أساس لها؟. إنه يريد بأي وسيلة أن ينسب اللغة الهيروغليفية إلى القرآن المجيد، فلا مانع لديه من اختراع القواعد والأسس التي لا تقوم إلا على شفا جرف هار فانهار به في هاوية الفكر الضال.

إنه يزعم أنه غاص في أعماق التاريخ فيقول:

فإذا غصنا في أعماق التاريخ الديني لكي نحدد أي اللغات مقدسا، وأيها غير مقدس، للاحظنا ما هو جدير بالملاحظة:

ويقدم الكاتب ملاحظاته فنقرأ قوله:

أ. أن نبي الله يوسف هو من أبناء يعقوب قد تربى وعاش معظم حياته في مصر، ولا بد أن يكون قد أتقن اللغة المصرية القديمة، فإذا كان قد بلغ عن الله أي تبليغ فلزم أن تكون اللغة المصرية هي لغة التبليغ، وحتى وإن كان لا يزال يذكر لغته الأم.

وهكذا يتبين مدى «غوصه» في أعماق التاريخ الديني، فإنه لا يقدم أي وثيقة تاريخية، وإنما يقدم استنتاجه الخاص عن يوسف u فيقول: ولا بد أن يكون قد أتقن اللغة المصرية القديمة، مما يثبت أنه يجهل أبسط حقائق التاريخ الديني وغير الديني. فهو لا يعلم أن

يوسف عاش في مصر في ظل الهكسوس الذين يقال إنهم جاءوا من بلاد فارس واحتلوا مصر لعدة قرون، ولذلك لم يذكر القرآن المجيد ملك مصر في تلك الحقبة بلقبه المعتاد، أي "فرعون"، وإنما ذكره بلقب "الملك". ولما قام أحمس وطرد الهكسوس، بدأ اضطهاد بني إسرائيل في مصر لأنهم كانوا هم الذين يتعاونون مع المحتل الأجنبي ويخدمون مصالحه. وإن كان يوسف قد تعلم لغة غير لغته العبرية فإنه تعلم اللغة الفارسية وليست اللغة المصرية القديمة. ثم يقول الكاتب:

ب. نبيّ الله موسى ولد وتربى في مصر لا بد أن يكون قد بلغ باللغة المصرية حتى وإن تكلم العبرية إلى جانبها، وقصص القرآن لهي خير دليل لنا في هذا المقام، حيث مسرح أحداث القصة يدور في مصر ومع فرعون مصر.

صحيح أن نبي الله موسى وُلد وتربى في مصر، ولكن أين الدليل التاريخي على أنه «لا بد أن يكون قد بلغ باللغة المصرية»؟. إن موسى لم يكن نبيا عالميا لكي يبلّغ دعوته للمصريين، وهو لم يُرسل إلا إلى بني إسرائيل، ولم يكن لديه أي شيء ليبلغه للمصريين، فإن الشريعة اليهودية نزلت عليه بعد أن خرج ببني إسرائيل من مصر أثناء التيه في سيناء الذي وصل فيه إلى جبل موسى في جنوب شبه جزيرة سيناء. وأما مهمته إلى فرعون فكانت أن يرسل معه بني إسرائيل، فهي كما يحددها القرآن المجيد:

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾[سورة طه: ٤٧].

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٦ -١٧].

إذًا مهمة موسى عليه السلام لم تكن تبليغ فرعون أو المصريين بدين لم يكن قد نزل بعد، ولكن أن يسمح فرعون بخروج بني إسرائيل من مصر.

ثم.. من الذي يجزم بأن موسى عليه السلام كان يتكلم مع فرعون باللغة المصرية القديمة؟. لقد كان من المتّبع أن يتكلم مبعوثو البلاد الأخرى مع فرعون من خلال مترجمين، وقد

تكلم أبو سفيان مع هرقل امبراطور الروم من خلال مترجم، فما الذي يقطع بأن موسى تكلم مع فرعون باللسان المصري القديم؟. غير أن الكاتب كعادته في الاستنباط التاريخي يقول إن موسى: "لا بد أن يكون قد بلغ باللغة المصرية"، مع أنه لم يقم بتبليغ أحد في مصر ولا كان يعرف أنه سيتلقى شريعة من الله، وكل ما أمره به الله تعالى هو أن يقود بني إسرائيل من مصر إلى الأرض المقدسة. ثم يقول الكاتب:

ت. سلسلة الأنبياء كداود وسليمان وحتى زمن عيسى بلغوا فيما يبدو باللغة العبرية أو إحدى لهجاتها، مع العلم أن داود مثلا قد تأثر في مزاميره بأناشيد إخناتون التي ترجمها مما يدل على علمه باللغة المصرية، ومن المعروف لدى كل علماء (المصريات) الآن أن المزمور رقم ١٠٤ لداود يكاد يكون ترجمة حرفية لترنيمات إخناتون في الوحدانية، فهل كانت اللغة المصرية في ذلك العهد هي لغة أهل الزمان أو كانت لغة عالمية لكل من أراد أن يعبر.

الأسلوب نفسه الذي تتبعه قناة الحياة وكهنة المسيحية المغلوطة حين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد نقل ما جاء في القرآن المجيد من الأديان القديمة، لمجرد أن ما جاء في كتب هذه الأديان يتشابه مع بعض ما جاء في القرآن الكريم. وقد نسى كاتبنا كما نسي مثله كهنة المسيحية أن من أنزل الأديان كلها هو الله تعالى، وهو الذي قال:

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة البقرة: ١٠٦].

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[سورة الأعلى: ١٨ -١٩].

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٦].

فهل عندما قال سيدنا رسول الله: رأس الحكمة مخافة الله، كان قد نقلها من مزمور ١١١ الذي جاء فيه: «رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ» (الْمَزَامِيرُ ١٠: ١١١)، أم أن هذه كانت من الحكمة التي علمها الله تعالى لرسوله الأكرم ﷺ، أو من الآيات التي أتى الله بمثلها؟.

ويلمح الكاتب إلى موضوع "عالمية اللغة المصرية"، لا بسرد الأدلة التاريخية، وإنما

بسرد مجموعة من الافتراضات التي يسوقها في صيغة أسئلة، حيث يقول:

ومن المعروف أيضا أن النبي سليمان حتى ولو تكلم العبرية، إلا أن الحكم المأثورة عنه تكاد تكون أيضا ترجمة حرفية لحكم الحكيم المصري (أمنوبي)، فهل أتقن هؤلاء الأنبياء اللسان المصري آنذاك أم كان هؤلاء المصريون -إخناتون وأمنوبي -من الأنبياء الذين قال فيهم رب العزة لرسوله: (ومنهم من لم نقصص عليك) أم نقلوا عن أنبياء لا نعرفهم، أم اقتضت عالمية اللغة المصرية ذلك؟!.

وهكذا يحاول الكاتب أن يضع في ذهن القارئ أن اللغة المصرية الهيروغليفية كانت لغة عالمية، وهذا هو نفس أسلوب كهنة المسيحية الذين يوحون بأفكارهم الخاطئة إلى القارئ بناء على بعض الاستنتاجات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ثم يستشهد الكاتب بزيارة المسيح إلى مصر، فيقول:

حتى نبي الله عيسى كما يذكر لنا التاريخ المسيحي كان قد قضى طفولته في مصر، وهذا ثابت في رحلة العائلة المقدسة، فلا مندوحة من التسليم أنه كان يعرف اللسان المصري آنذاك والمعروف لنا الآن باللغة القبطية. فلما عاد إلى فلسطين بلغ بلهجة من لهجات العبرية، ربما اللهجة الآرامية.

حتى أن أحد حواريه -مرقص -الذي كلف بنشر الدعوة في مصر وأسس الكنيسة المرقصية بها والتي ما زالت هي مذهب القبط حتى الآن، لا بد وأن يكون قد عرف اللسان المصري وإلا كانت دعوته للمسيحية في مصر كقبض الريح وغير ذات مضمون كبير وغير مفهومة بدون وسيط اللغة.

ويبدو أن كاتبنا كان يقرأ التاريخ وهو مغمض العينين أو وهو في سبات عميق، إذ لم يعرف أن عهد الفراعنة وقدماء المصريين قد انتهى قبل قرون عديدة من ميلاد المسيح، فقد انتهت الدولة الحديثة في مصر التي بدأت في عام ١٥٧٠ ق. م على يد أحمس الذي طرد الهكسوس، واستمرت حوالي خمسة قرون حتى عام ١٠٨٥ ق. م حين استولى على حكم مصر كبير كهنة الإله آمون، ومنذ ذلك العهد بدأ عهد الاضمحلال، وتدهورت

أحوال مصر سياسيا وثقافيا واقتصاديا. وتعرضت البلاد للنفوذ الأجنبي، فحكمها غرباء عنها، تمثلوا في مجموعات متتالية من الحكام الليبيين والنوبيين والآشوريين. وباستثناء فترة قصيرة من حكم الملك أبسماتيك الأول وخلفاؤه، وهو الملك الذي طرد الآشوريين، سرعان ما وقعت البلاد في قبضة الفرس في القرن السادس قبل الميلاد، وبالتحديد عام ٥٢٥ ق. م. فتحولت مصر إلى جزء من الإمبراطورية الفارسية. ثم تحولت إلى مستعمرة إغريقية، ثم إلى مستعمرة رومانية، وظلت مصر ولاية رومانية حتى جاء الفتح العربي وخلص مصر من حكم الرومان سنة ٦٤١ ميلادية.

ويبدو أن الكاتب كان لا يزال يحلم بأن اللغة الهيروغليفية كانت لغة عالمية، ولم يدرك أنها قد انقرضت وحلت محلها اللغة اليونانية أثناء حكم البطالمة الذي استمر لمدة ثلاثة قرون إلى قرب ميلاد المسيح، حتى إن البطليموس فيلاديلفيوس (عام ٢٨٥ ق. م.) حين أراد أن يُترجم الكتب المشهورة بأنها كتب مقدسة عند اليهود، جمع مترجمين يونانيين وطلب منهم أن يقوموا بترجمة هذه الكتب إلى اللغة اليونانية، وعُرفت هذه الترجمة باسم الترجمة السبعينية. ولو كان للغة الهيروغليفية أي شأن في مصر، أو لو كانت لغة عالمية كما يدعي بذلك كاتبنا، لكان الامبراطور قد أمر بترجمة كتب اليهود من العبرية إلى الهيروغليفية، أو على الأقل لكانت هناك ترجمة هيروغليفية لهذه الكتب. ولكن ربما فعلا توجد ترجمة هيروغليفية، ولكنها ليست موجودة إلا في عقل كاتبنا وحده. ولذلك فنحن لا نستغرب كثيرا عندما يقدم الكاتب بقية ملاحظاته فيقول:

ث. ولا نريد في هذا المقام أن نثير قضايا كبرى مثل مصرية سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط عليهما السلام، أو نقول إن نوحا عليه السلام كان مصريا، وسنفرد إن شاء الله لكل منهم كتابا يثبت ذلك.

ويبدو أن الكاتب لم يكن لديه وقت لمراجعة كتاباته وتصحيح الأخطاء الإملائية فيها. وما دام الكاتب يكتب بهذا الأسلوب الذي لا يكلف فيه نفسه مشقة دراسة التاريخ أو أقوال من سبقوه من علماء «حقيقيين»، فلا غرو أن يقوم بكتابة كتب تثبت مصرية سيدنا إبراهيم وسيدنا لوط وسيدنا نوح، ولا غرو أيضا أن يخرج الكاتب من كل ما قدمه

من «أدلة دامغة» بالنتيجة التالية:

ونستطيع من كل ذلك أن نستنتج حقيقة تاريخية هامة ألا وهي:

اللغة المصرية القديمة والمعروفة الآن تحت مسمى «اللغة الهيروغليفية» كانت لغة عالمية، وكانت لسان العصر لكل من أراد أن يعبر أو يكتب أو يتكلم، ربما لا نبالغ إن قلنا حتى بعثة نبينا محمدﷺ.

وإذا كانت «الحقائق التاريخية الهامة» تُستنتج بهذا الأسلوب، فإن هذا يكون سببا كافيا لعدم الاستمرار في التعليق على هذا المقال، وكان الله في عون من يسوقه سوء الحظ ويضطره إلى قراءة هذه الاستنتاجات إلى نهايتها.

غير أنه قبل إنهاء هذا التعليق أود أن ألفت النظر إلى «حقيقة هامة» ليست كالحقائق «الهامة» التي يقدمها الكاتب، وهي عن موضوع اللغة التي علمها الله تعالى لآدم. إن الكاتب يزعم أنها اللغة المصرية القديمة، وأنها كانت لغة الملأ الأعلى، أما دليله علي ذلك فيقول:

فنحن لسنا من أنصار من يصورون الإنسان البدائي في هذا الشكل الممقوت الذي يصور به الإنسان وكأنه لا يعلم شيئا ولا يتكلم لغة مفهومة وانه هو الذي طور لغته بنفسه، فإن كان الأمر كذلك، فأين ما علم آدم، وأين التكريم الذي كرمه الله للإنسان؟.

ونحن نرى أن آدم لما نزل إلى الارض كان معلَّما، وكان يتكلم اللغة التي عُلمها، وهبط إلى الأرض فسكن أرض مصر -جنة الرب كما يقول عنها اليهود في كتبهم -فصارت لغته التي عُلمها في السماء هي لغة أبنائه وأحفاده من بعده، وصارت إلى اللغة المصرية التي نتكلم عنها في كتابنا هذا.

وما دام الأستاذ الكاتب «يرى» فلا بد أن يكون كل ما يراه حقا و «حقيقة هامة»، وهو يرى أن آدم نزل إلى الأرض من السماء، كما كان بعض الجهلاء يظنون في زمن ما قبل اكتشاف التلسكوبات ومعرفة أن ما نستطيع أن نراه من أجرام سماوية يبعد عن الأرض بمقدار ١٥ ألف مليون سنة ضوئية. ولكن.. من أين علم الكاتب الجهبذ أن آدم سكن

في مصر؟. هل لمجرد أن اليهود يقولون عنها في كتبهم أنها جنة الرب؟. ولماذا لم يستشهد الكاتب بهذه الكتب ويثبت قوله هذا بمرجع من الكتب اليهودية إن كان صادقا فيما يقول؟.

ولكن الأدهى من ذلك أن الكاتب يريد أن يثبت أن اللغة الهيروغليفية هي لغة الملأ الأعلى، فيقول:

وهل اللغة المستخدمة في الكلام في الملأ الأعلى هي اللغة المصرية؟؟!!.

ونحن نرى أيضا أن الكتب السماوية الأولى ربما كانت تحمل إشارات إلى هذه المعلومة كصحف إبراهيم وتوراة موسى الحقيقية، مؤداها أن لغة الملأ الأعلى هي تلك اللغة التي تسمت فيما بعد باللغة المصرية، وان هذه الإشارات في أوائل السور القرآنية تصح ان تكون المفتاح السري الذي يتم من خلاله التعرف ما إذا كانت رسالة محمد من عند الله، فخاصة الخاصة من أحبار اليهود كانوا يعلمون هذه الشفرة ومن خلالها آمن منهم من آمن واستكبر من استكبر، فهم ولا شك في ذلك كانوا ما زالوا يعرفون اللغة المصرية حتى على عهد الرسول محمدﷺ، وهي لغتهم في الأصل (وليس العبرية كما يتوقع).

والدليل الذي يسوقه الكاتب المحترم إجابة عن سؤاله عن اللغة المستعملة في كلام الملأ الأعلى، هو أن الكتب السماوية الأولى «ربما» كانت تحمل إشارات إلى هذه المعلومة كصحف إبراهيم وتوراة موسى الحقيقية. وطبعا هو يستشهد بما ليس له وجود، ثم ينتقل إلى «حقيقة» أخرى من حقائقه التي لا تمت للحقيقة بصلة فيقول إن خاصة الخاصة من أحبار اليهود كانوا يعلمون هذه الشفرة، من غير أن يقدم أي دليل على ذلك سوى قوله هو:

«فهم ولا شك في ذلك (وعجبي لهذا اليقين الذي لا يستند لأي دليل!!.) كانوا ما زالوا يعرفون اللغة المصرية حتى عهد الرسولﷺ، وهي لغتهم في الأصل وليس العبرية كما يتوقع».

ما شاء الله!!. ما هذه الاكتشافات الكبرى التي يتحفنا بها الكاتب المحترم؟. أحبار

اليهود كانوا ما زالوا يعرفون اللغة المصرية حتى على عهد الرسول محمدﷺ، وهي لغتهم الأصلية وليست العبرية، كما يتوقع الجهلاء. ومع ذلك فالكاتب لا يقدم أي دليل على هذه الدعاوى، لا من التاريخ، ولا حتى من أقوال أحبار اليهود الذين أسلموا.

غير أن الكاتب لم يذكر لنا.. لماذا كانت اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، كما هو معروف في الأدبيات الإسلامية، رغم أن لغة الملأ الأعلى هي الهيروغليفية كما يزعم؟.

كما أنه لم يذكر لنا.. لماذا سمح الله تعالى بأن تموت اللغة التي يزعم الكاتب أنها لغة الملأ الأعلى؟.

وأيضا لم يذكر لنا.. لماذا أنزل الله رسالته الكاملة والخاتمة والأخيرة بلسان يختلف عن اللغة المقدسة.. ولماذا كان القرآن محفوظا في اللوح المحفوظ بلسان يختلف عن لغة الملأ الأعلى؟.

لقد أراح الكاتب نفسه، إذ يقول:

على أي حال فهذا الموضوع لا نستطيع الآن أن نبت فيه بكلمة نهائية إلا بعد بحثه علميا مدققا في مناسبة أخرى، ولعلنا بهذه الإشارات نفتح الباب لغيرنا لبحث الموضوع مستقبلا.

ونحن نسأل: ما دام الكاتب لا يستطيع أن يبت بكلمة نهائية في هذا الموضوع إلا بعد بحثه علميا مدققا، فلماذا لم يقم بالبحث المدقق أولا كأي كاتب محترم، يحترم نفسه ويحترم قارئه، قبل أن يخوض في أمور تثير سخرية الناس منه، وتكشف خواء منطقه، إن جاز أن نسمي هذا الهراء منطقا؟.

لقد قال الله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[سورة الرحمن: ١ - ٤].

وبدلا من أن نفهم من هذه الآيات الكريمة أن الذي علم القرآن باللغة العربية هو الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، أي علمه أيضا اللغة العربية، فإن الكاتب يريد منا أن

نفهم أن الله علّم القرآن باللغة العربية، ولكنه علم الإنسان اللغة الهيروغليفية. لقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بأنه:

﴿ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[سورة النحل: ١٠٣].

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[سورة الشعراء: ١٩٥].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[سورة الشورى: ٧].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾[سورة الرعد: ٣٧].

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة طه: ١١٣].

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[سورة الزخرف: ٣].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[سورة يوسف: ٢].

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[سورة الزمر: ٢٨].

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[سورة فصلت: ٣].

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾[سورة الأحقاف: ١٢].

ألم ير الكاتب أن اللسان المبين هو نفسه لسان البيان الذي علمه الله تعالى للإنسان؟.

ثم ألم يقرأ قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[سورة الشورى: ٧].

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[سورة الأنعام: ٩٢].

ألم يسمع أن مكة هي أم القرى، فهل ظن أن مكة ولدت القرى الأخرى أم أن الآية الكريمة تعني أن مكة كانت أول القرى التي أقيمت في الأرض، وأن قرى الأرض كلها قد انبثقت منها؟. ألم يقرأ قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٩٦].

فإذا كانت مكة أولى القرى في الأرض، والبيت الذي رفع إبراهيم وإسماعيل قواعده

كان أول بيوت عبادة الله، أفلم يفهم الكاتب أن الإنسان الذي أقامه الله تعالى وجعله خليفته في الأرض كان يتكلم اللسان الذي علمه الله إياه، وأن ذلك الإنسان هو الذي بني أم القرى وبنى أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض؟. فهل يمكن أن يكون لسانه هو اللغة الهيروغليفية أم أنه هو اللسان العربي المبين؟. أم أن كاتبنا يتصوّر أن آدم.. حسب قوله.. قد هاجر من مصر (جنة الله في الأرض كما تقول كتب اليهود غير الموجودة)، وذهب إلى تلك البقعة من الجزيرة العربية، وهناك بنى أول قرية على الأرض، وبنى أول بيت وُضع لله، ثم قفل عائدا إلى مصر ليقيم القرى والمعابد ويتكلم اللغة الهيروغليفية ويُعلمها لأولاده وأحفاده؟. ثم يحدث أن تتطور هذه اللغة وتنحرف عن أصولها المقدسة لتنبثق منها اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية.. اللسان المبين؟. ألم يعلم كاتبنا أن الله تعالى لم يسم أي لسان بأنه مبين سوى اللسان العربي؟. فالألسنة عند الله صنفين: عربي وأعجمي. يقول تعالى:

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[سورة النحل: ١٠٣].

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۖ ﴾[سورة فصلت: ٤٤].

﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾[سورة الشعراء: ١٩٨ -١٩٩].

وعلى هذا، فإن اللسان العربي يتميّز عن جميع الألسنة الأخرى، والتي انبثقت منه، بأنه تحت الحفاظة الربانية، فمن وسائل حفظ القرآن المجيد.. حفظ اللغة التي نزل بها ذلك الكتاب العزيز. ثم انظر إلى تراكيبها، وخذ مثلا المصدر دَرْس، نجد أن كل ما يتعلق بموضوع المصدر مشتق منه، وعندما نقارن بين اللسان العربي واللسان الإنجليزي مثلا، نجد ما يلي:

وهكذا نرى إعجاز اللسان العربي الذي يمكن بتغيير حركة حرف في كلمة منه نجد

الكلمة في اللسان العربي	الكلمة المقابلة لها في اللسان الإنجليزي
دَرْس	lesson
دَرَسَ	study
دَارِس	student
مُدَرّس	teacher
مَدْرَسَة	school

أنها تعبر عن معنى جديد، وبإضافة حرف إلى الكلمة نجد أنها تعني معنى آخر. بينما في اللغة الإنجليزية نجد أننا بحاجة إلى كلمة جديدة أخرى للتعبير عن معنى مغاير.

أضف إلى هذا أن الحرف الواحد في اللغة العربية يمكن أن يعبر عن فعل مثل حرف "قِ" وهو صيغة فعل الأمر من وقى، يقال: ق نفسك السوء، وحرف "عِ" وهو صيغة فعل الأمر من وعى، يقال: ع الدرس.

وكما يمكن اختزال الكلمة إلى مجرد حرف، فيمكن إضافة حروف إلي الكلمة لتعني معان كثيرة مختلفة، وعند ترجمة هذه الكلمة إلى لغة أخرى نجد أنها تحتاج إلى العديد من الكلمات. فمثلا: كلمة "فسيكفيكهم" (٩ حروف) في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧]، وكلمة: "أنلزمكموها" (١٠حروف) في قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [سورة هود: ٢٨]، الأولى مشتقة من الفعل الثلاثي "كفى"، والثانية مشتقة من الفعل الثلاثي "لزم".

صحيح أننا يمكن أن نجد بعض آثار هذه الظاهرة في بعض اللغات الأخرى القديمة، وذلك لأن اللغات الأخرى قد تطورت عن اللغة العربية، ولكننا لا نرى هذه الظاهرة بهذا النقاء وهذا الشمول وهذا الوضوح وهذا النظام كما هي في اللغة العربية. مما يؤكد أن اللغة العربية هي بالفعل اللغة الربانية، وهي لغة البيان التي علمها الله تعالى للإنسان الذي اختاره ليكون خليفته في الأرض، وأما اللغات الأخرى فهي لغات الأعجميين. إن

اسم اللغة العربية يدل عليها، فهي اللغة الواضحة، أو اللسان المبين. يقال أعرب الرجل عن رأيه، أي أنه أوضح رأيه أو عبر عن رأيه بأوضح المعاني، والإعراب هو الإفصاح أو الإيضاح.

حبذا لو كان الكاتب قد قدّم لنا اللغة الهيروغليفية بهذا التقديم وأثبت لنا خصوصيتها وتفردها بين اللغات الأخرى، بدلا من رسومات البط والعصافير التي ملأ بها مقاله.